

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٢٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

العدد التاسع عشر. ٢٧ شعبان سنة ١٣٥٦ - أول نوفمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

صفحة		
١١٦٢	الطيار الذهبي في قصر يوسف	للكتابة الإيطالية مانيلدا سيراو ... بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ...
١١٧٤	غادة البحر	... مشهد من مسرحية الكاتب التروحي ايسن ... بقلم الأستاذ خليل هندواي ...
١١٧٧	الغرفة الزرقاء	... للكاتب الفرنسي بروسير مريميه بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
١١٨٢	ذو الغمد	... للكاتب الروسي أنطون تشيكوف بقلم الأديب جورج سلسكي ...
١١٩٣	فتشتر يوفيفيانى	... عن كتاب الأطفال المتنازين بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...
١١٩٦	سحابة	... أفصوصة موضوعة ... بقلم الأستاذ أديب عباسى ...
١٢٠١	كورنر فاسيليف	... للفيلسوف الروسي تولستوى بقلم الأديب أحمد فتحي مرسي ...
١٢٠٩	اعترافات فتى العصر	... لأنفريد دى موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ...
١٢١٨	الأوذية	... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دروي خشبة ...

الطيّار الذهبى فى قصر يوسف

للكاتبة الإيطالية ماتيلدا سيراو
بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة

أسرار الفن والجمال التى
ازدهرت فى عصر
يوسف فنقلت معانيها
الخفية والظاهرة،
وأفرغت ثمار النعمة
والفنون الحديثة فى
قواها القديمة الثابتة .
وإن تحليل ذلك لتهن

على من يعلم أن عقل مستر
« سترينج بيرد » العالم الأثرى
الشهير الذى شاد القصر ورفع دعائه
وأنفق فى ذلك معظم ما كان يملك ،
وقضى ثلاثة أرباع حياته فى الدرس
والبحث والتنقيب والتحقيق حتى
وصل إلى الصورة الأخيرة التى
نسق عليها القصر ، فتضافر
هو وعقل شارلوت على إيجاد
تلك المعجزة الفنية التى بنيت من
حجر وصخر ومرمر وبلور
فكانت إلى وصف الصوغ أقرب ،
حتى ليخيل إلى الرأى أنه يتمتع نظره
بجوهره بقيمة فذة يرى أضواءها

ماتيلدا سيراو Mathilde Seraw
من شهيرات القصصيات الإيطاليات .
فى أوائل هذا القرن عاشت ووضعت
كتبها فى مدينة نابولى بأسلوب
متكرر جذاب . وقد تفتت بضع قصص
من تأليفها إلى اللغات الأوروبية : وقد
زارت مصر قبيل الحرب ووضعت
قصة خلاصة تربط بين الماضى والحاضر
وتجمع الشرق والغرب وجعلت بعض
مناظرها فى ظلال الآثار المصرية
الحالدة وبطلها جيوفانى دى فاغا طيار
إيطالى ومثوقته لادى شارلوت
الانجليزية النبيلة . وقد شادت هذه
اللاذى السكونية لقاء حببها قصرأ
وصفته المؤلفة بالقصر اليوسنى إشارة
إلى ما فعلت امرأة العزيز ... وقد
وقعت فى ذلك القصر حوادث جسام
صاعتها المؤلفة القديمة أجل صياغة
وأفرغتها فى أبداع القوال

وصف القصر كأنك نراه

بدأ الشيخ العربى يروى لى
قصة قصر يوسف فى ظلال
العمد الشاهقة عند معبد رمسيوم :
« كان السائر على شاطئ
النيل بمقربة من « الدير البحرى
الذى شادته الملكة المسترجلة
حتشبسوت يرى بناء صغيراً
يكاد يكون لجماله كالأمير المتخفى ،
يدل مظهره البرىء على البساطة
والتواضع ، وتنطوى حقيقته على
العظمة والفخامة فاقصر
الصنير الجميل لا يرى من ظاهره
ما يدل على ما انطوى عليه من

وهو فيها ، وبأخذ يبصره تلالؤها وهو محيط به ،
ويشع حوله فيرى كالحالم أنه يتقلب فى فراش من
الحرير والديباج فى مقصورة من اللباس المضىء بذاته
لداته ...

كان الزائر يمر بالدخل الكبير للقصر بين
عمودين من الرمرر الناصع البياض مرصين لا معين
جلب معدنهما النفيس من الصحراء الغربية ، وإلى

المفاخر والحاسن وآيات الفن وضروب الجمال ودلائل
حسن الذوق ومهارة الصانعين ولباقة لادى شارلوت
التي جعلت من هذا البناء الأثرى متحفاً للجمال الحى
ومصدراً لوحى الفنون التى تجلت فى غرفه . وأول ما
يستترعى نظر الرأى جلال الشخصية التى أشرفت
على إعداده وتأنيثه وتنسيقه ؛ وإن الزائر ليحار
حيال القدرة الجبارة التى تمكنت من إدراك أدق

الناصع البياض وعلى رأس كل طرف من أطرافه
تمثال بديع لفتاة كاملة الخلق ممشوقة القد ناعمة
الطرف قبضت على ثديها بيديها فتفجرت منهما المياه
كما يتفجر لبن الموضع في فم طفلها المحبوب ؛ والماء
المتدفق على هذه الصورة العجيبة ينصب في الحوض
راسماً في طريقه قوساً جميلاً لا يسمع له صوت لدى
خبره ، ويريده بهجة ورواء سقوط أشعة زرقاء
هادئة مسلطة من مدخل البهو على تلك الينابيع
الأربعة المتدفقة من أنداء الفتاتين . فإذا ما أشبع
الناظر نفسه بالنظر إلى الحوض والناقورة والفتاتين
صعد بضع درجات من سلم واسع الأرجاء مصنوع
من الجرانيت الوردي زينت أطرافها بآنيات خزفية
ملونة تتدلى منها أغصان الأسيرجوس ، كأنها شعور
خضراء لرأس خفي . وكان الباب الداخلي مستطيلاً
وعلى جانبيه مرآة من المعدن يتبين فيها الناظر
صورته واضحة جلية ، وعلى حافة كل مرآة تمثال من
خشب الجوز التركي لظبي فاتن راقد في اطمئنان يرنو
بعينيه النجلاوين المصنوعتين من الصدف والعقيق
الأسود إلى الناظر في المرآة

ثم يستأذن الداخل على بهو فسيح قد صفت
على جوانبه مقاعد من الفسيفساء على صور تمثيل
الصيد والقنص . أما أرض البهو فكانت من
الفسيفساء ، تمثل بحيرة عظيمة تسبح فيها أسماك
شتى الألوان والأشكال والحركات ، تتخللها
أصداف وأحياء مائية أخرى كقنديل الماء
والأخطبوط ؛ وفي وسط الصورة الرائعة الحسن

جنب كل منهما تمثال لأسد رابض منحوت من
الجرانيت القاتم ، وقد جعلاً رمزاً للحراسة والحماية
واليقظة ، كما جعل على رأس كل عمود تمثال لنسر
يهم بالتحليق وقد نشر جناحيه وخفض رأسه
وحدق بعينه ؛ وكان هذان النسرات أجمل رمز لفن
حيواني ، المهندس الطليار . وإنما لمصادفة عجيبة
فرحت بها لادى شارلوت فرحاً جماً ، فلم أنفقت
ورنهما ذهاباً ما استطاعت تقدير الفكر الذي أوحى
إلى المعمار وضعهما ، فكأنه رأى بعين الخيال ذلك
الرجل السعيد الذي سوف ينزل بالقصر ويكون قلب
مالكته ملكاً له .

فإذا ما عبر الداخل عتبة ذلك البهو الفخم
المحروس في أسفله بالأسود وفي قمته بالنسور أخذت
عينه وراء كل أسد لبضعة أقدام من أذناها التي
أقيمت عليها بتمثالين لعملاقين من الزوج كأنهما
واقفان لحراسة ما وراء المدخل وإضاءة سبيل الزائر
الذي توسط بستان القصر . وإنه لمن المهندسين
المعاريين من تشرف نفوسهم على المستقبل فيأمج
أحدهم من بوارق الإلهام ما يقتضي تمام الفن أن
يوحى إليه ليخرج العمل الكامل . فإن الفنان قد
وضع في يد كل منهما مصباحاً على شكل رأس امرأة
قبض الزنجي بأنامله على ضفائرها ، وتنشع من رأسيهما
حزمتان من النور الأزرق ، فإذا تحرى الناظر مصدر
الضوء وجده خارجاً من أعين المرأتين فكان لذلك
في نفسه رهبة أي رهبة . فإذا فرغ عجبه لهذا المنظر
أخذ بصره بحوض يضاوى الشكل من الرمر

حوت عظيم فاغراه كأنما يريد أن يتلع مايدنو منه من صيد البحر ، وركبت في رأسه عينان من الباقوت الأحمر . أما زرقة الماء التي تمثلها الفسيفساء فكانت مصنوعة من شظايا رقيقة من «أزرق البحر» الفائق الجمال

وكانت جدران البهو مزودة بتصاوير تمثل صيد البر ، فن طراد بين كلاب سلوقية وغزلان مشردة وبرة تخلق فوق رؤوس طباء لتعود إلى صاحبها بالغنيمة الباردة ، إلى مناظر صيد الطيور في برك المياه وسط الحشائش الخضراء ؛ فكان يحيل إلى الجالس في البهو أنه يتمتع بصيد البر والبحر ، حتى إذا مادعه رب الدار إلى الدخول رأى أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله أبواباً تؤدي إلى مختلف الغرف ؛ فمن يمينه غرفة الجلوس التي جعلها المعمارى بياضوية على شكل حوض البستان وهي تؤدي إلى باب من الحديد المصقول لغرفة الطعام التي جمعت مستديرة على شكل المائدة ، وبينهما حجرة مستطيلة لاتسع لأكثر من خوان الشراب وحوله مقعدان ، وفي جدرانها بنايع من الفضة إذا حركها الساق سكبت ألواناً من الخمر المعتقة التي أوصت بها لادى شارلوت في مصانع إيقوسه وشمپانيا وكروم توسكانيا وأقنيون ؛ وقد صنعت تلك البنايع بحيث تتصل بمخزائن صغيرة تملأ وتستنزف وتثلج من وراء الجدار . ولقاعة الشراب نافذتان تطل إحداها على حديقة القصر ، والأخرى على منظر من ضفاف الليل ، بحيث يرى الطل الشمس والقمر لدى

الشروق والغروب . فإذا ما أبحه الداخل صوب الشمال بدأ بفرقة مثلثة الشكل جعلتها ربة القصر للقراءة والعبادة . ففي رأس المثلث معبد صغير تقف إليه كلما شعرت بالحاجة إلى الاتجاه إلى ربها . ولم يكن جيوثاني بأقل حاجة منها إلى أوقات يقضيها في ذلك الركن الركين ذا كرا سيدته العذراء ومولاه المسيح . وإن تعجب لشيء عجيبنا للاختلاف بين عقيدته الكاثوليكية وعقيدتها البروتسية وقد جمع الحب بين الروحين ، وسوى بين المذهبين ، وأزال الفروق كما أجرى في عروقهما دماء جديدة للحياة التي تتدفق في الشرايين ؛ والبهجة تدخل القلب فتعشه ، والآمال تنهض بالنفس الحزينة فتقويها ، دأب الحب الناشيء في قلبين متعطشين إليه . وقد حوت هذه المكتبة طائفة من أنفس الكتب القديمة والحديثة ولا سيما مؤلفات توماس هاردى ودانوزيو . ومن فرائد المؤلفات التي احتوتها وعد الزواج لمازوني ؛ وكان جيوثاني يطيل قراءته لاعتقاده أنه يبني الأبطال ، فقد بنى روسيني روسى حتى إنه ليحتفل في كل عام بتاريخ صدوره

وأحضرت لادى شارلوت كتباً في فن الطيران لتدخل السرور على قلب حبيبها إذا فاجأته بها . وينتهي رأس « مثلث المكتبة والمعبد » إلى باب صغير يؤدي إلى خدع الرقاد ، وقد جعل هذا الخدع على هيئة بناء سداسى كأنه إحدى خلايا النحل . ولا غرو في ذلك فإن العاشقين طالما تبادلوا فيها لذة الحب ، وهي أحلى من الشهد . ولا عجب فإن

الحق أن الذين صوروا زليخا صوراً بارزة وأخرى غير بارزة ، وصوراً ذات ألوان وأخرى ساذجة ، لم يستطيعوا أن يجدوا ما يتفوقون به على صنع الذين صوروا لادى شارلوت . ومما يدل طوراً على الذكاء وتارة على التهور السكسوني أن لادى شارلوت أخذت من جيوفاني يوسف آخر ، فجعلت في تصاويره بجانب صورها في ملابس نفيسة من قميص إلى جلباب ، ومن قفطان إلى عباءة ، وكل ما آخذ به العفة لباساً خلعت شارلوت على حبيبها بريشة الرسام ...

وكانت تلك التصاوير تزين مخدع النوم ومجلس الشراب وخلوة الحمام . أما غرفة الطعام فكانت مقاعدها من خشب « الأبنوس » المزك بال عاج وأسلاك الفضة ؛ وكانت جدرانها مزودة بتصاوير يوسف وزليخا يتفكهان ويشان رائحة الأزهار من باقات صفت لسيهما على الخوان ، وصورة أخرى أضاقها لادى شارلوت تمثل عقائل المدينة وهن يقطعن أيديهن !!

وكان السرير في غرفة النوم واطناً رجباً وثيراً يشعر الراقدة عليه بأنه قد أسلم جسمه إلى فراش يكاد لرقته ونعومته وطرأوته وليونته يكون أحضان محبوب مشتاق ، وقد حشيت الوسائد والحشايا بأغفر الريش وأغلاء ، وغلفت الوسائد وما إليها بالحرير الأزرق ، وجعلت للسرير ستور من المخمل « الجنزاري » (١)

(١) هو لون الصدف الذي يعاين النحاس ، وسط بين الأخضر

شارلوت تصلح ملكة ، ولا يصلح جيوفاني إلا لخدمتها ، وقد جاءها طائراً كما تخلق ذكور النحل في أفق السماء في أثر الملكة يوم الغزل المشهود . فما أغرب المصادفة التي أوحت إلى المهندس بناء تلك الغرفة على تلك الصورة !

وينتهي أحد أضلاع هذه الخلية الانسانية المعسولة بغرفة الزينة التي جعلت على شكل محارة رصراً إلى أن التي تتجلى فيها « درة » تربت في أصداف غالية ؛ وينتهي أحد الأضلاع المقابلة بخلوة الحمام ، وقد تفنت اللادى شارلوت في تنسيقها وتزينها بأحواض من الرمر الملون ومواسير من المعدن الأبيض ومراة من الفضة المصقولة ، وجعلت في أركان الحمام رفوفاً من العاج ذات تعليلات وحالات من المرجان حملتها بأدوات الزينة النادرة المثال ؛ وكانت مربعات القيشاني الفيروزية تعكس على الحوائط ألواناً بهجة

ولما كان مستر سترينج بيرد قد زين غرفة النوم بتصاوير شتى لامرأة العزيز في مختلف الأوضاع ، فتارة ناهضة من فراشها ، وطوراً راقدة وقد أسندت رأسها إلى معصمها ، فقد صورها في إحدى اللوحات في موقف المنتظر المتاهف ترقب موعد يوسف ، وفي أخرى صورة تجمعهما في فراش واحد جعلتها زليخا في غيبة يوسف لتفاجئه بها في اليوم الموعد ، وفي الساعة التي كان لها ما بعدها ؛ وقد شاءت لادى شارلوت أن تجعل لنفسها من زليخا قدوة فلم تترك وضماً من أوضاعها إلا وقادتها فيه بتصويرها . وفي

أجل شيء في الكون ، والبحر أبهى الألوان
وكلاهما أزرق ؟ ثم بعد فان أولى الهدايا وأعزها
عندي كانت ذات لون أزرق فتفاءلت بها وصار هذا
اللون شعارنا ؛ وزادني به تعلقاً أن حبيبي يفضلته على
ما عداه من الألوان . وفي عرفنا أن الدم الذي
يجرى في عروق ملو كنا أزرق اللون !

العاشقانه بين نارين

لم يكن تدمير القصر اليوسفي الذي استقبلت فيه
لادي شارلوت محبوبها جيوفاني دي نافا المهندس
الايطالي الطيار وليد المصادفة ، بل حدث ذلك
التدمير بالنار نتيجة تدير سابق بعيد الغور
فان لادي شارلوت التي أنفقت في تنسيق القصر
وتزيينه وتأثيثه وتجميله وتصوير جدرانها وتلوينها
ما أنفقت من مال وصبر ، ولا سيما قاعة الرقاد التي
جعلتها آية من آيات الابداع ومعجزة من معجزات
الفن المصري القديم ، وجمعت لها ما جمعت من
أدوات الزينة وثمين الرياش ، وطرزت حواشيها
بأنواع انخمل والسندس ، وفرشت أركانها بالدرابي
المبثوة ، وجمت أطرافها بالطنافس الغالية ، وحلت
حوائطها بالتصاوير البارزة التي تمثل مناظر العشق
وأوضاع الغرام إلى جانب مجانس الشراب ومواقف
الغزل ، كانت تظن أنها أعدت لليالي حظوتها
بمحبوبها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ وحسبت
أن الدهر قد صفا لها وهادئها ، وأن الأيام عاهدتها
على الهناء وكفت عن الغدر بها . ولكن لادي
شارلوت فطنت إلى شيء وغابت عنها أشياء ونسيت

وكان سقف تلك الغرفة شفافاً بحيث يرى الراقد
فيها قبة السماء كما لو كان يرقب الأفلاك وهو لا
يشكاف مجهوداً قل أو أكثر . فكان لبزوغ القمر
وتلألؤه في كبد السماء روعة في نفس من يرى أشعته
الفضية تنسكب انسكاب الغدير على الغرفة ومن فيها
فتنمرها بسبال فضي ينمكس ضياؤه الأبهى على
زرقة الرياش فيكون لذلك منظر من أبدع المناظر
وأبهجها وأفتنها

أما غرفة الزينة التي أبدع الصانع زخرفها فقد
جمعت بين الفن القديم والفن الحديث فوضعت في
صدرها منضدة من المرمر المرقق صفت عليه أوعية
من المرمر الرقيق تحوى أطيب العطور وأروحها ،
ومختلف الأدهان والمكاحل وأدوات تنسيق الأظافر
وتطريتها ، وألوان ذهبية وياقوتية لتخضيب البنان ،
وأدوات لتصفيف الشعر وترجيله وما تحتاج إليه
النساء من أسباب التحلى والتزين ، كما حوت صواناً
كبيراً للثياب صنع إطاره من خشب القرو ، وركبت
ألواح وجوانبه من البلور المزودج بحيث لا تحتاج
صاحبه للتنقيب عن الثياب في ظلام الأخشاب .
وقد جعلت في خزائن من خشب عطري علباوات
من الفضة المبطنة بالقطيفة الزرقاء لصيانة جواهرها
ومصوغاتها ومعظمها من الدراري اليتيمة والآلىء
النادرة ؛ وكان للياقوت الأزرق والفيروز والزرجد
أكبر نصيب من فصوص الأقراط والخواتم

وكان اللون الأزرق سائداً في كل مكان . وطالما
سئلت لادي شارلوت في ذلك فأجابت : أليست السماء

الذين جعل إحداها وسادة لرأسها والأخرى وقاية لصدرها ، دأب كل عاشق يحتضن معشوقته فهو يريحها ويحرص عليها ، يريحها كما تريح الموضع الحنون طفلها ، ويحرسها من خطر موهوم ، فكأنه يخشى أن تغفل منه في الظلام وهي به جد لاصقة.. ولكنه لم يجرؤ على تخطي مدخل الغرفة الزرقاء لئلا يخالف بذلك رغبتها فسمع همساً ، فعاد أدراجه ووضع يده على مسدسه الذي كان لا يفرط في صحبته مطيحاً في ذلك نصيحة والده زينا لذي دي دنافا : « عليك يا بُني بثلاث تدراً بها الأخطار : الهندسة والأسن والسلاح ، فالأولى للرزق والثانية للاغتراب والثالثة تلقى بها الرجال »

وقد ابتسم جيوفاني ابتسامة أليمة عند ما قبض على مسدسه ، وتذكر حكمة أبيه وقال في نفسه : « هأنذا أنفذ وصيتك يا أبتاه ! لقد حذرتني من ثلاث بثلاث : من الفقر بالعلم ، ومن الغربة بحفظ اللغات ، ومن لقاء الرجال بالسلاح . ولكنك لم تحذرنى من المرأة التي قد تكون سيئاً في كل أولئك »

ولم يكد ينتهي من هذا الخاطر العجيب الذي صر بذهنه بأسرع مما يعمق السهم وأمضى ، حتى سمع صوت رجل يتكلم مخاطباً لادى شارلوت ، فكادت دقات قلبه تقف فجأة لارعباً من الخطر ، ولكن إشفافاً على عجبته التي خيل إليه أنها في برائن الهلاك . فرفع جيوفاني ذلك الستار بأطراف أنامله ، فرأى رجلاً في صورة أعيان السكسون ،

أن من سره زمن ساءت أزمان ، وأن الدهر قل ما يهادن بغير استعداد لمواقع أخرى قد تكون أشد من الأولى وأفسى ، بعدها ليصلي انخدوعين بأمنه بنار محرقة من جحيمة . وإنها لنى ظلال الهناء ترشف كؤوس الحب مترعة ، في الليلة الرابعة من ليالى غرامها الخالدة وقد أسدل الظلام ذوائبه على سريرها ، وهى تناجى جيوفاني ، تناوله أشهى القبل وتبادله أرق الحديث وأطيبه ، ولسان حاله يقول :

تبات فؤادك في الظلام خريدة

تسقى الضجيع يبارد بسام

وإذا بها تسمع في الغرفة الملاصقة وقع أقدام خافت ؛ وكانت مرهفة السمع شديدة اليقظة حتى فى سكرات الغرام فهضت وحاول جيوفاني النهوض ليتبعها ، إلى غرفة الزينة التى اختارت لها اللون الأزرق وهو اللون المحبوب منهما المفضل لديهما على سائر الألوان . وكانت اللادى تلبس للنوم قميصاً من الحرير الأزرق وحول عنقها ذلك العقد الذى تلمع جباهه المجموعة من الياقوت الأزرق، ويتدل على عنقها البلورى وكتفها الفضيّتين شعرها الناعم القسطنى فاجتازت الغرفة بخطوات مسرعة وأزاحت بيدها الستار الذى يسدل فيفصل بين الغرفتين ، فيسمع جيوفاني من ورائه وسوسة الحلى وخبر الماء الدافئ ويشم رائحة المطر . وبقي جيوفاني فى الفراش برهة فى حال غريبة من اللذة والخوف عليها ، وفى انتظار عودتها إلى ذراعيه

« إن وجود لادى شارلوت برنهارت حفيدة
دوق مالبرو وسليتي بيت الوردية البيضاء ، صاحبة العفة
وربة التقوى وتاج الصون في هذه البقعة المقدسة
لمن أجل الاشارات إلى هطول البركات ووفور
الخيرات ، ولكن التقاليد صريحة في وجوب
إقصاء الدين يلحفهم الدنس وتمسهم شوائب الرجز ،
لا فرق في هذا بين العبد والأمير ، فأستحلفك يا بنت
برنهارت باسم القوة السماوية التي تستمدين منها
وجودك الدائى لتقولن لى الصدق فيما أنا سائلك عنه :
أأنت طاهرة أم ملوثة بأدناس ... العاشقين ؟

قال هذا ووقف تجاه النبيلة يحيد فيها بصره ،
كأنه يريد أن تصل نظراته إلى أعماق نفسها ،
فأحفظها القول وغازها وكسر بالها ، فتبدل
شحوبها بحمرة شديدة وغلى دمها في عروقها ،
وأسرع نبضها تيمناً لحفان قلبها ، وطفق نهذاها
الرمانيان (اللذان لم يخضما لقانون التضخم والمهبوط
بفضل حَمالة من الحرير الأزرق مصنوعة حسب
آخر أزياء باريس) طفق هذان النهدان يصعدان
ويهبطان استنكاراً لكلام تأبى أن تقبله من إنسان
كائناً من كان ، واستنكاراً لمعاملة لا تليق بكرامتهما .
واستقر في خلدها أن بعض أعدائها دبر لها مكيدة
للوضع من مكانها ، فصوروا لها رجلاً على صورة
والدها (لورد ريثا نونكل أوف درومدرى أند
كولو سترم) ليوهموها بتقمص الأرواح واقتفائهم
أثرها لينفصوا عليها حياتها وحبا ، فوطنت النفس
على مفاجأة الشيخ بما لم يكن في حسابه من الشجاعة

يشبه شيوخ السيناتو في رومة القديمة ولوردات
الأنجليز في لندن الحديثة ، وقد بدا في أشعة مشكاة
صغيرة تضيء ظلام الغرفة في ثياب تشبه ثياب
النسك ، وله وجه ورأس أشبه الأشياء برأس اللادى
ووجهها ، وقد تدلت على صدره لحية لم يستبن جيوفانى
لونها على حقيقته . وكان الرجل على خلاف المألوف
في الأنجليز ، أميل إلى السمن منه إلى النحافة ؛ وكان
يتكلم بصوت خافت ولكنه صوت الرجل الوديع
العالم الذى لم يتعود الصخب ، ولكنه صوت من إذا
قال فعل ، وإذا أراد نفذت إرادته ؛ وكان أثناء
كلامه يدلّف إلى اللادى ثم يعود الفقهري ، فإذا
دلف حرك رجليه على هيئة قوس من دائرة يتوهمها
ويرسمها بساقيه إذا خطا . ثم يحرق بالنبيلة الأنجليزية
بمينين ضيقتين ولكنهما براقتان . وكانت اللادى
تنصت في رعب تحاول إخفاء وراء ثوب شفاف
من الهدوء . فلم يجد جيوفانى سبيلاً لاستعمال
مسدسه حيال هذا الشيخ الجليل الثابت الجنان ،
ولا سيما بعد أن سمع كلامه بالإنجليزية باللغة الواضوح
نقية اللجة ، فأصنى جيوفانى في حال بين اللذة والقلق
إلى كلماته متنقلاً بحديثيه اللتين مدتهما الرهبة ،
من وجه محبوبته الشاحب إلى وجه الشيخ
المتلهب . كان وجه شارلوت شاحباً ولكنه كان
ثابت التقاطيع فلم يمرها ما يمرو الخائفين من رعشة
أو اهتزاز أو تقلص في العضلات . وكان الشيخ
يتكلم كما لو كان يعلى وصيته الأخيرة قبل ذهابه إلى
ساحة القتال . قال الشيخ بصوت يلقى على رفته في
النفس الروح :

ورسوخ القدم والقول المقذع ثم أنشأت تتكلم فقالت :

— ليس من عادة الشرفاء أن يخاطبوا من لا تربطهم بهم علاقة ما — دع عنك أواصر المعرفة الوثيقة — بمثل ما تكلمت به أيها السيد المحترم ، فضلاً عن أن يدخلوا البيوت من غير أبوابها ، أو ينفشوا المراقد في مثل هذه الساعة من الليل ... أو الصباح !!
فإن لم تكن أنت ياسيدى قد سمعت صياح الديك فقد سمعته أنا وملأت نفسي بعد أذنى بجميل نغمة ... خدق الشيخ فيها بعين الارهاب والتهديد ، وتربد وجهه تربداً تغيرت به بهجته ، وتنكرت بشاشته ، فأمسكت لادى شارلوت عن الكلام بعد أن ظن جيوفانى أن الغلبة لها ، إلا أن هيئة منظره لم ترعها ، فتجلدت له وأظهرت من ضروب الاستخفاف وتهديده وإرعاده ما جعله يكبر عليه أن يرى لادى شارلوت لاتقيم له وزناً ولا ترعى له حرمة ؛ واحتدمت في نفسه نار الغيظ وانتفخت بسببه عروق جبهته حتى بدا لونها اللازوردى من خلال بشرته الصافية الأديم ؛ إلا أن الشيخ أو الشبح رأى أن يكظم هذا الغيظ ويأخذ بالأناة في الأمر ، فأعاد السؤال الأول في صيغة لطيفة السباجة ظاهرة المعنى فقال :

« أعيد عليك سؤال الأرواح التي أنابتني عنها في بقعتها هذه : هل جئت إلى هنا تبغين التطهر من الدنس ، أم أنك طاهرة ؟

فأجابت بصوت جهير : سأجوبك على هذا

السؤال . قال : إذا جاوبت والدك المائل أمامك فإنما تجاوبين الأرواح ولا أزيد ، وإني لأمرك أن تبرحى بإشارلوت — بياتريس . روز . بلانش . تيريز — أن تبرحى هذه البقعة المقدسة التي لوئتها أقدار الأحياء قبل أن تندلع النيران في أركانها ، وتنقض جدرانها ، وتندك حوائطها ، وتتحطم تحفه ، وتقفر مغانيه ، وتهدم دعائمه ، وتحترق أشجاره وأعشابه ، فيصير أخضره يابساً ، وباسمه عابساً

لقد كان في مقدورنا أن ننزل بك ما ننزل دون إنذار كما تحطر المياه بلا إبراق وإرعاد ، ولكن بقية باقية من الشفقة ألهمتنا هذا التحذير لئلا نبه ، وستعلمين بناءً بعد حين ! فارتاعت لادى شارلوت لهذا الكلام وقالت : هأنذا ماضية في سبيلي ؛ ثم دنت من الباب فاذا بها تبصر جيوفانى واقفاً مبهوتاً مرتاعاً ، لأن ما سمعه من قولها ليس من الهنات الهيئات ، إذ كان يعلم أن لادى شارلوت تؤمن بخلود الأرواح وبسطة نفوذها وقوة بطشها ، وتيقن بأن لبعضها غلبة وقهراً تمنو لها جباه الجبارة ؛ فخشي جيوفانى أن تكون محبوبته قد خرقت بنبات جأثتها وقوة حجتها سياج هذه القوة الغامضة ، فوضعت من قدر الروح المثل أمامها في نظر من سمع هذا الحوار بينها وبينه من خاصة الأرواح المتصلة بالعالم الأرضى ، والتي لم ترتب في مشاركتها في استطلاع هذا المنظر الليلي العجيب

هل كان جيوفانى حائلاً ، أم كان يقظاً ؟ هل كان هازناً ساخراً ، أم مؤمناً جاداً ؟ ولكنه أيقن (٢)

وبذلت جهوداً جبارة في رومه ، وفي لندن ، وفي
فيرنزة ، وفي برمنجهام ، حتى حولت تيار المودة
بينهما من الصداقة إلى المحبة ، ومن التأذ بالحديث
العذب والمجلس الأنيق في الثوى الفاخر المنعم إلى
الحب العميق والعشق الساحر . ولم يهدى من روعه
علمه بأن لادى شارلوت تكبره بسنتين فهي في حدود
الأربعين وهو ما زال في السابعة بعد الثلاثين ، كما
أنها بحكم نشأتها وتعليمها ومحيطها ومستواها تفوقه
في الخبرة والتجارب ؛ ولعلها أذكي منه خاطراً
وأسرع إدراكاً وأحضر بديهة وأوسع اطلاعاً ، فكم
مملكة زارت ، وكم رجل خطير عرفت وعاشت ،
وكم كتاب قرأت ، وكم معضلة عرضت لها فحلت ،
دع عنك ما ركز في طبيعتها من المكر الحسن ...
والسوء !!

كان جيوفانى رجل حق وصدق ، سليم الفطرة
طيب القلب ، أبفض شئ لديه الكيد والخداع ؛ وكان
نابغاً في عمله يتقنه ويبرز فيه حتى يبد معاصريه
وقرنائه ، ولكنه كان يغلب لشارلوت إذا لاعبها
الشطرنج أو نازلها في ميدان التنيس أو سكواش
راكيتس ، كان يفوقها في المنطق وتفوقه في السفسطة
والدعابة ، وقد عاشرها على حذر إلى أن استبان
إخلاصها ووفاءها - والمرأة إذا أحبت أخلصت
ووقت ، وكلتا الخلتين رهينتان بحبها ؛ فإذا مات الحب
نضب معين الفضائل التي كان الحب يغذيها وينعشها ،
أما الرجل فلا ينسيه غروب شمس حبه شيئاً
من مكارم أخلاقه التي كان يغمر بها محبوبته
لعهد الغرام . ولعل شعوره بانتهاء الحب وانحلال
الرابط الوثيقة التي كانت بينه وبين « أنثى » من
جنسه يلبه فيه عواطف الشفقة والحنان والرحمة ،

أنه في صحو وفي يقظة لأنه رآها توى له إيماء أدرك
معناها ، وكان المهندس الايطالى (سنيور جيوفانى)
كما كانت تدعوه صديقته في أوقات دعائها) يخلق
بفكره ساعتئذ في جو الخيال ، فأنبهته الإيماء من
غفلته ، فأخذ يرشق اللادى شارلوت بنظرات تشف
عمافي فؤاده من الهيام والخوف عليها . فأيقن الشيخ
أن بين الاثنين سرّاً لا يفسره إلا ارتباط قلبيهما
برباط الحب الوثيق ، فارتعد غيظاً وصوت باللادى
شارلوت أن تقف وأن تصنى إليه ، ففعلت ناظرة
إليه بعين المستغهم عن سبب استرجاعه إياها وهي
ماضية في طريقها إلى مخرج من حضرته كما أمرها
وطالما سأل جيوفانى نفسه بعد ذلك هل كانت
تنوى العود إلى أحضانه في فراشها ، أم تنوى تغيير
قيص الليل بثياب النهار لتفاد ذلك القصر الذى
وصفه الشبح الانجليزى بأنه « بقعة مقدسة » ؟
وطالما علل نفسه بسؤالها بعد جوازها تلك العقبة
وتخطيها هذه المحنة التى قصر أمدها وطال ألمها .
ولكن الفرصة لم تسنح له لياق على محبوبته هذا
السؤال ، دأب العشاق الذين يشغلون بحبهم عن
أنفسهم وعن غير أنفسهم

قلت : ظل الشيخ حينما انكفأت اللادى
شارلوت إلى غرفتها يشيعها بنظره فيصير بها فقال :
« أنت تظاهرين الأرواح بالعداوة والتعدى ! »
والتبادر إلى الفهم أنه لم يزل لك هذه الفواية ويتركان
في هذه العماية إلا حليف لك هو الآن يترأى منا
ومسمع ، ونظر صوب جيوفانى فارتعدت فرائصه
وخارت قواه ، لا جبناً ولا وهناً ولكن رهبة من
هيبة الشيخ الوقور . ولم ينفعه علمه بأن لادى
شارلوت هي التى أحبته واستغوته واستدرجته

ورسوخ القدم والقول المذع ثم أنشأت تتكلم فقالت :

— ليس من عادة الشرفاء أن يخاطبوا من لا تربطهم بهم علاقة ما — دع عنك أوامر المعرفة الوثيقة — بمثل ما تكلمت به أيها السيد المحترم ، فضلاً عن أن يدخلوا البيوت من غير أبوابها ، أو يغشوا المراقد في مثل هذه الساعة من الليل ... أو الصباح !! فإن لم تكن أنت ياسيدى قد سمعت صياح الديك فقد سمعته أنا وملأت نفسى بعد أذى بجميل نعمة ... فخدق الشيخ فيها بعين الارهاب والتهديد ، وتردد وجهه تربداً تغيرت به بهجته ، وتنكرت بشاشته ، فأمسكت لادى شارلوت عن الكلام بعد أن ظن جيوفانى أن الغلبة لها ، إلا أن هيئة منظره لم ترعها ، فتجلدت له وأظهرت من ضروب الاستخفاف بتهديده وإرعاده ما جعله يكبر عليه أن يرى لادى شارلوت لا تقيم له وزناً ولا ترعى له حرمة ؛ واحتدمت في نفسه نار الغيظ وانتفخت بسببه عروق جبهته حتى بدا لونها اللازوردى من خلال بشرته الصافية الأديم ؛ إلا أن الشيخ أو الشيخ رأى أن يكظم هذا الغيظ ويأخذ بالأناة في الأمر ، فأعاد السؤال الأول في صيغة لطيفة الديقاجة ظاهرة المعنى فقال :

« أعيد عليك سؤال الأرواح التي أنا بتنى عنها في بقعتها هذه : هل جئت إلى هنا تبغين التطهر من الدنس ، أم أنك طاهرة ؟

فأجابت بصوت جهير : سأجوبك على هذا

السؤال . قال : إذا جأوت والدك المائل أمامك فإنما تجاوبين الأرواح ولا أزيد ، وإنى لأمرك أن تبرحى يشارلوت — يياتريس . روز . بلانش . تيريز — أن تبرحى هذه البقعة المقدسة التي لوئتها أقدار الأحياء قبل أن تندلع النيران في أركانها ، وتنقض جدرانها ، وتندك حوائطها ، وتتخطم تحفه ، وتقفر مغانيه ، وتهدم دعائمه ، وتحترق أشجاره وأعشابه ، فيصير أخضره يا بساً ، وباسمه عاباً

لقد كان في مقدورنا أن نزل بك ما نزل دون إنذار كما تخطر السماء بلا إبراق وإرعاد ، ولكن بقية باقية من الشفقة ألهمتنا هذا التحذير لجئنا به ، وستعلمين نبأه بعد حين ! فارتفعت لادى شارلوت لهذا الكلام وقالت : هاأنذا ماضية في سبيلى ؛ ثم دنت من الباب فاذا بها تبصر جيوفانى واقفاً مبهوتاً مرتاعاً ، لأن ما سمعه من قولها ليس من الهنات الهيئات ، إذ كان يعلم أن لادى شارلوت تؤمن بخلود الأرواح وبسطة نفوذها وقوة بطشها ، وتيقن بأن لبعضها غلبة وقهراً تمنو لها جباه الجبارة ؛ فخشى جيوفانى أن تكون محبوبته قد خرقت بثبات جأشها وقوة حجتها سياج هذه القوة الغامضة ، فوضعت من قدر الروح المثل أمامها في نظر من سمع هذا الحوار بينها وبينه من خاصة الأرواح المتصلة بالعالم الأرضى ، والتي لم ترتب في مشاركتها في استطلاع هذا المنظر الليلي العجيب

هل كان جيوفانى حائماً ، أم كان يقظاً ؟ هل كان هازئاً ساخراً ، أم مؤمناً جاداً ؟ ولكنه أيقن (٢)

« لهذا أنذرك أيتها العقيلة (وهنا قال جيوفاني عجباً لهؤلاء الانجليز ، حتى أشباحهم لا تنسى آداب الحديث في أخرج المواقف) الجامعة في الضلالة بأن الأرواح لا تتجاوز عن ذنبك إلا إذا رجعت إليهم بحسن التوبة » ثم صعد نظره في جيوفاني وأوماً إليه بسبابته قائلاً ، ولكنه قبل أن يتمكن من النطق بحرف واحد بادره جيوفاني بكلمة قاطعة :

« أيها الشيخ الجليل أو الشيخ المضيء أو الروح الخالد ، وسامحني إذا لم أعرف كنهك لأخاطبك باسمك وألقابك ، دع عنك بالله تأنيبي واهدنا أولاً إلى مقر الآنسة دولي برنهارت ، فهي التي بسببها جئنا إلى هذا المكان ، ورحنا إلى تلك البقعة التي تصفها بالقداسة ، فأنت تعلم أنها مفقودة وأن أمها جاءت تبحث عنها ؛ فإن كنت جدها وهي حفيدتك فأنت أولى الناس بالارشاد إلى مستقرها .

الفتاة المفقودة

وقد كان سؤال جيوفاني في صميم العاطفة ، وصدى للوعة الأم التي قصدت إلى ضفاف النيل لتبحث عن عشيقها ففقدت ابنتها . وكان جيوفاني يلتمس عذر الطيران في السماء الصافية بحجة البحث عن المذراء الغائبة

فعندما جابه جيوفاني الشيخ الجليل أو شبح لورد كولوسترم ، والد لادى شارلوت بالسؤال عن (دولي) مستقرها ومشاها ولىح له من طرف خفي أن الاستدلال على الفتاة المفقودة خير من الظهور للأمم في سبيل والد هملت ، وتقريبها قبيل الفجر على أمور لم تعرف كنهها ولم تنف على مدى خطاها فيها ؛ وظن جيوفاني أنه بهذا التوجيه الكيس قد صدّ تيار

ولو أن المرأة التي كان يحبها أمهله ولم تمرقل عواطفه بغيرتها وغيظها لرأت منه فوق ما عودها من الرأفة والشفقة ، ولكن المرأة ، ولا سيما إذا كانت ذكية الفؤاد ذات حساسية ، تجعل من القطيعة مسألة نفسانية ذات علاقة بالكرامة ، فلا تقبل من « قطيعها » من الأيادي ما كان يسدى إليها سابقاً ، وتفضل أن تجوع وتعمى على أن تتلقى معروفه وجائله . على أنها في ذلك لا تتبع إلا خطة ثابتة في نفسها ، إذ يندر أن تلقى بالإحسان من كانت تحب ، بل تفتقر لدى لقائه وقد تنكر له ، ولا ينفع معها التذكير والتفكير ، ولا يهمها أن تعود بخاطرها إلى ما كان بينهما من أيام الهناء وليالي القرب الأدنى . ويخطئ من يلومها أو يحقد عليها ، فعذرها تعلقها بحريتها وبفضها الخضوع لسلطان رجل كان بالأمر سيدها بحكم الحب ، وخلعت اليوم نيرة راغبة أو مرغمة ، فهي تنتظر أن تأتي سواء وتعلق به وتحميه فهي تعد قلبها للإيجار أو للبيع فتفعل ما يفعل المالك عند « خلو » داره من ساكن من غسل ومسح ورش وكنس وتبييض وتلوين وتعليق لوحة للإيجار ... ولا تقل المرأة « الخالية » عن المالك غيرة على استثمار « البيت الخالي » ، فإن طاف بالسكان الجديد محسناً ومعظماً ومبالغاً في قيمة الدار وزينة الغرف وجمال الوضع وتنسيق البهو وحسن الشرفات فهي الأخرى لا تنى في إظهار محاسنها الظاهرة والخفية بشتى الوسائل حتى تقنع الراغب أو المرغوب فيه بالسكنى

كل هذه الخواطر مرت بذهن جيوفاني في تلك اللحظة الرهيبة وهو يصني إلى صوت الشيخ وهو يكمل حديثه :

أهبائه وغرفته ما علم ، وإن لم يقف على تفصيل وصفه
فقد وقعت لنا صور زيتية وأخرى شمسية تمثل معاله
وأطلاله ، كما وقفنا على نبد وجيزة وأخرى مسهبة في
وصفه دونت بيمض صحف التاريخ الحديث وروايات
أسفار السائحين الذين سمعوا إليه وساعدتهم الحظ بدخوله
والتنقل بين غرفه قبل أن تمتلكه لادى شارلوت
لتستقبل فيه حبيبها جيوفاني . فاستخلصنا من تلك
المصادر وصفاً صادقاً وإن يكن غير بالغ شأواً
حقيقته فما راء كمن قرأ أو سمع

« كان السائر على شاطئ النيل بمقربة من الدير
البحري الذي شادته الملكة المسترجلة حاتشبسوت

يرى بناءً صغيراً يكاد يكون كالأمير التخفي »

محمد لطفى جمعة

لادى شارلوت منذ احتلته هي وصاحبها ... صلاة
الصباح ولكنها لم تكن صلاة الصبح بل كان إنذار
الحب الذي اندلع في ناحيات القصر في لحظة واحدة ،
وصفير النار التي اشتعلت في الأثاث والرياش ، وتحقيق
الوعيد الذي جاء على لسان الشيخ الذي قال إن النار
المحرقة تظهر كل شيء حتى القلوب التي في الصدور :

وكان الشيخ العربي يقص قصته الخلابة ونفسى
سابقة في عالم الأحلام ، فكنت أغمض عيني لأتخيل
الحقيقة التي يرويها . فإذا ما فتحت عيني رأيت في
مجلسه وسمعته يقول :

« أما القصر الذي طالما قرأ القارىء اسمه ،
وعلم من أنباء الحوادث التي جرت بها الأقدار في

الكستور المصرى هدية الموسم

حديث المجالس . والأوساط التجارية . ناعم الملمس . متين المحبر

ثابت الصبغة . متعدد النقوش . معتدل السعر

صنع شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى

أكبر وأحسن مجموعة يخرجها مصنع الشركة بالمحلة الكبرى خصيصاً

لشركة بيع المصنوعات المصرية وفروعها